**الوحدة الأولى: أدب الطفل (المفهوم، النشأة والتطور) –الجزء الثاني-**

**3- الأدب ومراحل الطفولة :**

حينما يكتب الكاتب للطفل لا بد عليه أن يراعي خصوصياته؛ ويكون هناك توافق بين ما يقدمه من ألوان أدبية شكلا ومضمونا وأسلوبا مع خصائص مراحله العمريّة، وما يتلائم مع استعداداته الفكرية وقدراته الإستعابية. ومن ثم يجب "أن يتوافق الغذاء الأدبي للطفل مع مستوى نموه، وتنحصر المشكلة التربوية في إيجاد المعارف الملائمة لكل مرحلة، وفي تقديمها في صورة قابلة للتمثيل . فعلى الكاتب أن يتجنب تزويد الطفل بخبرات ومعارف تفوق طاقاته وقدراته، حتى لا يؤدي به إلى التعقيد والملل فيدخله بذلك في جو من الإحباط والفشل لأنه عجز عن تفسير وإدراك هذه المعارف والتفاعل معها بصورة إيجابية، وهذا ما أكده علماء النفس ، فهم يحاولون التهرب من الأعمال التي تعلوا عن مستواهم - الأطفال -، بينما نجدهم يثابرون على العمل إذا شعروا بقدرتهم على النجاح. والمواد التعليمية التي تناسب الأطفال يكون لها معنى في أذهانهم فتساعدهم على تنمية معلوماتهم وزيادة خبراتهم وتحقيق الكثير من الأهداف التي أهمها: إحداث نمو وتطور في شخصيات الأطفال في الاتجاه المرغوب فيه.[[1]](#footnote-2)

فالكاتب للطفل عليه أن لا يتجاوز المستوى المعرفي المألوف لإدراكات متلقيه، ويرى" وليفريد وارد" في كتابه "عن مسرح الأطفال" أن التفاوت في المراحل السنية يسبب مشكلة في اختيار المسرحية المناسبة فيقول بأن: "تفاوت السن بين المتفرجين في مسرح الأطفال مثلا يسبب أعظم المشاكل، فيما يتعلق باختيار المسرحيات المناسبة، فما يقبله الأطفال في سن الخامسة يبدوا تافها بالنسبة إلى الأطفال في سن الحادية عشر، وما يهز مشاعر هؤلاء يثير فزع الأطفال في الخامسة".[[2]](#footnote-3)

**4-نشأة أدب الطفل:**

المطلع على الأدب وتاریخه یدرك أن الشعوب التي اصطنعت الأدب في أعلى صوره البلاغیة لم تستطع أن تصل إلى الإحسان في أدب الأطفال لا بعد دراسات واسعة اهتدت بها إلى دراسة الطفولة نفسها دراسة كشفت أسرارها ، وأوضحت معالمها . وأدب الأطفال لم یكن طارئاً على الأدب العربي فحسب ، بل هو طارئ على الآداب العالمیة كلها ،لأن الإنسان لم یقف على سلوك الطفل وقفة علمیة إلاُّ في السنین الأخیرة . وفي أدبنا العربي فإننا لا نكاد نجد قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما یصح أن یطلق علیه أدب الأطفال بمعناه المعروف في وقتنا الحاضر ، ولكننا مع ذلك قد نجد في ثنایا الأدب العربي على امتداد العصور ألواناً قلیلة قد تصلح لبعض مراحل الطفولة ، لأنها جاءت مصورة للأحداث والتجارب في أسلوب قصصي ، أو أرید بها التسلیة والفكاهة أو قصد بها إغراء العوام بالاستماع ، فجاءت في الغالب – دون قصد من واضعها – صالحة للأطفال في بعض الأحیان ، وأهم ما ورد عن العرب في ذلك بعض المقاطع الشعریة التي كانت تغنى للأطفال عند تنویمهم او ملاعبتهم ، وهي في مضمونها تعبر عن حب الطفل أو إبداء الإعجاب به او الدعاء له بالصحة والمستقبل الحسن .

ومن ذلك ما ورد عن الشیما بنت حلیمة السعدیة وأخت الرسول الكریم (صلى الله علیه وسلم) من الرضاعة ، وحاضنته مع امها حین كانت تراقصه بقولها : هذا أخ لم تلده أمي ولیس من نسل أبي وعمي فأنمه اللهم فیما تنمي [ .

لقد خلص البعض إلى أن أدب الأطفال العربي قدیم وقسماً منه متداخل ومشمول مع أدب الكبار ، وان بعض القدماء وضعوا كتباً للأطفال ونصوا في المقدمة على ذلك ، وإن عبارة أدب الأطفال قدیمة ، والأذرعي المولود سنة 750 ه /1349 م كان ملماً بأدب الأطفال أي قبل أدب الأطفال الأوربي ب 35 سنة ، ویختلف الباحثون حول هویة أول كتاب عربي فهنالك من یرى أن أول كتاب أطفال عربي حدیث هو النفثاث لرزق الله حسون من حلب ، وكان صدوره عام 1867.أما احمد نجیب فقد خلص إلى أن قصة القطیطات العزاز لمحمد حمدي وجورج روب التي نشرتها دار المعارف ]سنة 1912 هي أول كتاب أطفال عربي ، وأن ما سبقه من كتب لا تتحلى بالصفات المطلوبة في كتاب الطفل ، رغم توجه أصحابها بها إلى الطفل العربي .

وكان للترجمة إلى اللغة العربیة من اللغات الأخرى اثر بالغ في ظهور هذا الفن في منتصف القرن التاسع عشر بین1854 ) حیث أتم محمد عثمان ترجمة حكایات شعریة خرافیة غربیة الى العربیة نقلاً عن الشاعر الفرنسي - أعوام ( 1849لافونتین في كتاب أطلق علیه اسم : العیون الیواقظ في الأمثال والمواعظ ، ویرى بعض الدارسین الذین تناولوا تأریخ أدب الأطفال بعام 1875 ، كبدایة لنشأة أدب الطفل في الأدب العربي الحدیث ودلیلهم إصدار رفاعة الطهطاوي لكتابه المرشد الأمین في تربیة البنات والبنین في تلك السنة ، ومن قصصه المترجمة : حكایات الأطفال، وعقلة الأصبع ، وقد أدخل الطهطاوي قراءة القصص في المنهج المدرسي . ویعدُّ إصدار مجلة روض المدارس المصریة في عام 1970 ونشرها المواد الأدبیة للطلاب والكتاب مرحلة غیر مسبوقة في نشر الكتابات الأدبیة للناشئین وفي معرض الحدیث عن أدب الأطفال في العراق نجد انه من أهم الدول العربیة التي ركزت منذ وقت مبكر على أدب الأطفال سردا وشعرا وصحافة ونقدا ودراسة. وأعطت اهتماما زائدا بالطفل من مرحلة الروض حتى مرحلة الفتوة والمراهقة[[3]](#footnote-4) .

جدیر بالذكر أن أدب الطفل في العراق لم یظهر بشكل حقیقي وفعال إلا في أواخر الستینیات من القرن العشرین بصدور مجلة" مجلتي". وبعد ذلك، أتبعت هذه الصحیفة بجریدة" المزمار" التي كان لها صیت كبیر على مستوى الداخل والخارج. وبعد هذه الفترة انطلق أدب الأطفال في تطوره واخذ مدا وجزرا حسب الظروف السیاسیة والاقتصادیة والاجتماعیة والثقافیة ، وقد مر أدب الطفل بمجموعة من المراحل التاریخیة كمرحلة النشأة والتأسیس من العشرینیات حتى الستینیات من القرن العشرین، ومرحلة التطور والازدهار من السبعینیات حتى التسعینیات، ومرحلة التراجع والانحسار ومراجعة الذات مع سنوات الألفیة الثالثة.

في عشرینیات القرن العشرین ظهر شعر الأطفال في العراق تحت تأثیر أحمد شوقي الذي كان یعد الرائد الحقیقي لأدب الأطفال في العالم العربي كما یتجلى ذلك واضحا في دیوانه " الشوقیات". وقد كانت بعض المجلات متخصصة في نشر قصائد الأطفال كمجلة" التلمیذ العراقي" التي خرجت إلى حیز الوجود عام 1923 م ومن أهم الشعراء العراقیین الذین كتبوا للأطفال نذكر: مصطفى جواد، ومحمد رضا الشبیبي، ومعروف الرصافي، وجمیل الزهاوي، وعبد المحسن الكاظمي . هذا وقد خصص الشاعر العراقي الكبیر معروف الرصافي للأطفال دیوانا شعریا بعنوان" تمائم التربیة والتعلیم" یحمل في طیاته مجموعة من القصائد والأناشید والمقطوعات الشعریة الطفلیة ذات الأهداف التربویة والتعلیمیة والتهذیبیة . ومن المعلوم أن أدب الأطفال، على المستوى السردي والحكائي (قصة وروایة وحكایة)، لم یظهر في العراق إلا في فترة متأخرة من القرن العشرین لأسباب ذاتیة وموضوعیة. ومن ثم، لم تعن صحافة الأطفال في بدایاتها الأولى " بالقصص التي ینجذب نحوها الأطفال حیث لم یحظ الأدب القصصي في مجمله إلا بنسب واطئة، ولم تظهر قصة الطفل ببعض مواصفاتها الحالیة إلا في فترة متأخرة، ومن أهم كتاب القصة في العراق نستحضر على سبیل المثال: جاسم محمد صالح الذي ألف مجموعة من الأعمال السردیة الطفلیة كالروایات المصورة وغیر المصورة مثل " حمید البلام" ، و"اللیرات العشر والحصار"، وغیرها ، كما أن العراق قد عرف المسرح المدرسي والمسرح التعلیمي ومسرح الأطفال ومسرح القاراقوز ومسرح الدمى والعرائس. ومن أهم كتاب مسرح الأطفال في العراق، لابد أن نستدعي في هذا الصدد: حقي الشبلي، وطارق الربیعي وضیاء منصور، وغیرهم.[[4]](#footnote-5)

ویذهب الدكتور عمر محمد الطالب في دراسة بعنوان:(قصص الأطفال في العراق بعد ثورة 17 تموز) إلى أن الفترة ما بین 1969 و 1976 م لم تثمر نتائج إیجابیة فیما یخص سردیات الطفل. وترى هذه الدراسة أن الكتاب العراقیین قد استفادوا من التراث القصصي العربي ، وأن قصص الأطفال في العراق تجمع بین المتعة والفائدة، وتعتمد على فن الرسم، وتربط الأطفال بواقعهم المعیش.

هذا وقد صدرت بالعراق مجموعة من الصحف من جرائد ومجلات متخصصة في أدب الأطفال ، ومن أهم المجلات المعروفة في البلد نذكر: جریدة" التلمیذ العراقي" التي ظهرت في سنة 1923 م تحت إشراف سعید فهیم، وبذلك تكون أولى صحیفة في العراق تتخصص في أدب الأطفال. كما خرجت إلى حیز الوجود جریدة" الكشاف العراقي التي صدرت عام 1924 وجریدة التلمیذ" التي صدرت سنة 1929 م ومجلة الطلبة عام 1932 ، ومجلة الفتوة عام 1945 وغیرها من الصحف والمجلات . بی د أن هذه المجلات الرائدة عراقیا وعربیا شهدت تعثرا كبیرا نتیجة لأسباب سیاسیة منذ التسعینیات من القرن العشرین بسبب آثار حرب الخلیج الأولى ، لكن بعد هذه الفترة، ظهرت مجموعة من الجرائد الأسبوعیة والیومیة التي خصصت ملحقات وصفحات لأدب الأطفال كجریدة" الصباح" وجریدة" طریق الشعب"،وصفحة الجیل الجدید"،وغیرها.[[5]](#footnote-6)

كما صدر في العراق مجموعة من كتب المعارف والفنون والمعاجم الموسوعیة الموجهة إلى الأطفال، ومن هذه الكتب: كتاب" الطاقة الشمسیة"، و" سلسلة الكتاب الذهبي" التي اشتملت على كتاب رحلات السندباد البحري، وموسوعة الطیور ، كما تتوفر في العراق مجموعة من المؤسسات الطابعة ودور النشر التي تتخصص في طبع إبداعات أدب

الأطفال، ومن هذه المؤسسات نذكر على سبیل المثال: دار ثقافة الأطفال التي أنشئت في بغداد مع مطلع السبعینیات من القرن العشرین على ید صفوة مثقفة من كتاب أدب الأطفال منهم: محمد شمسي، وعبد الإله روؤف، وشفیق مهدي الحداد، وفاروق یوسف، وعبد الرزاق المطلبي، وآخرون، وهناك أیضا دار القصة العراقیة التي أنشأها محمد رشید عام 1999 م لتهتم بطبع جمیع الأجناس الأدبیة ولاسیما مطبوعات أدب الأطفال .

مما سبق یتبین بأن أدب الأطفال بالعراق قد انطلق في بدایات القرن العشرین وشهد انتعاشا ملحوظا ما بین السبعینیات والثمانینیات من القرن العشرین، لكن هذا الأدب شهد تعثرا واضحا وتراجعا مكشوفا في سنوات التسعین وسنوات الألفیة الثالثة بعد نتائج حرب الخلیج الأولى وآثار حرب الخلیج الثانیة.

إذن فأدب الأطفال في العالم العربي حدیث ، وان كانت جذوره تمتد إلى مصر القدیمة، وجذوره الحدیثة أیضاً تمتد إلى مصر الحدیثة ، حیث حملت مصر مشاعل الریادة لهذا الفن في الأدب الحدیث . وعلى أیة حال نستطیع القول أن الإرهاصات الأولى لأدب الأطفال العربي بدأت مع مطلع القرن العشرین ، عندما قدم عدد من الشعراء ، والكتّاب بعض المنظومات الشعریة ، وبعض القصص للأطفال ، یمكن القول أن من خطا الخطوات الأولى في مجال أدب الأطفال محمد عثمان جلال ثم إبراهیم العربي ، وأحمد شوقي وثلاثتهم شعراء ، وتبع شوقي محمد الهراوي الذي نظم الأناشید والأغاني للأطفال . وفي مجال الكتابة النثریة ألف علي فكري عام 1903 كتابه مسامرات البنات ، كما وضع 1916كتاباً آخر للبنین أسماه النصح المبین في محفوظات البنین وتلا جیل الرواد جیل برز في الثلث الثاني من القرن العشرین أمثال : عمر فروج ، وحبوبة حداد ، وروز غریب في لبنان ، وعبد الكریم الحیدري ، ونصر سعید في سوریا ، وبعضهم تجاوزت شهرته حدود بلاده مثل كامل الكیلاني ومحمد سعید العریان ، وعطیة الابرش ، وإبراهیم عزوز ، وأحمد نجیب . وقد تمیزت كتابات هذه المرحلة بالاقتباس والنقل من اللغات الأجنبیة أو التبسیط لكتب العرب القدامى ، ویعد كامل الكیلاني من أبرز كتّاب هذه المرحلة للأطفال ، حیث كتب أكثر من مائتي قصة ومسرحیة للأطفال ، وكانت أول قصة هي السندباد البحري، ومع انقضاء الثلث الثاني من القرن العشرین ، تلته مرحلة بدأ أدب الأطفال خلالها بانتزاع اعتراف الهیئات العلمیة والأدبیة به ، وسلك طریقه لیصبح مادة من مواد التدریس في الجامعات، وكان لحرب حزیران عام 1967 أثر كبیر على الاهتمام بالأطفال وأدبهم من خلال رؤیة تهدف إلى بناء مجتمع سلیم قوي ، والذي یشكل الأطفال اللبنة الأساسیة فیه ، فصارت تعقد الندوات والمؤتمرات ، وتقام المراكز من أجل النمو بالطفل وأدبه ونحن الیوم إذا ما أردنا أن نرتقي بأدب الأطفال في عالمنا العربي لابد أن نركز على ضرورة الابتعاد عن القصص والحكایات التي تغرس قیما سلبیة في نفوس الأطفال ، ولابد من الإفادة من التراث وجعله مصدراً مهماً في استلهام الكثیر من القیم ، كما انه لابد من التركیز على قصص الخیال العلمي من أجل ترسیخ جذور هذا الخیال في أدب الأطفال العربي.[[6]](#footnote-7)

1. لعياضي أحمد: **أدب الأطفال بين مراحل الطفولة وجماليات الكتابة** ، مجلة مهد اللغات، المجلد 02 ، العدد03، 2020، ص35 [↑](#footnote-ref-2)
2. نفس المرجع السابق، ص 36 [↑](#footnote-ref-3)
3. رافد سالم سرحان شهاب: **أدب الأطفال في العالم العربي مفهومه ، نشأته ، أنواعه وتطوره دراسة تحليلية** ، مجلة التقني، المجلد 26، العدد 06، 2013، ص25 [↑](#footnote-ref-4)
4. نفس المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-5)
5. نفس المرجع السابق ، ص 26 [↑](#footnote-ref-6)
6. نفس المرجع السابق، ص27 [↑](#footnote-ref-7)